في حياة الرازي ومصنفاته وتفسيره

أولاً: نبذة من حياة الرازي

اسمه ولقبه وكنيته:

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي، التيميّ، البكريّ، الطبرستانيّ الأصل، الرازيّ المولد.[1]

ويُكنى أيضاً بأبي المعالي،[2] وأبي الفضل،[3] وكنيته الأولى: أبو عبد الله هي الأشهر في مصنفات أهل العلم، على نحو ما نجد مثلاً في الفتاوى الكبرى،[4] ومجموعة الرسائل الكبرى،[5] لابن تيمية (ت 728 هـ) وتفسير البحر

([1]) ابن خلّكان: وفيات الأعيان 248/4، والصفدي: الوافي بالوفيات 248/4، وابن الوردي في تاريخه 182/2. ولم يذكر ابن الساعي، وابن كثير اسم (الحسن) ينظر: الجامع المختصر 306/9، والبداية والنهاية 55/13. وقد ذكر السبكي وتابعه عمر كحالة عند ترجمتها لوالد الفخر أن اسمه: عمر بن الحسين بن الحسن، بتقديم اسم (الحسين) وهو موافق لما ذكرته المصادر الأخرى من اسمه، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى 242/7، ومعجم المؤلفين 282/7. ولكن عند ترجمتهما للرازي ذكرا أن اسمه: محمد بن الحسن بن الحسين بتقديم اسم (الحسن)، وهكذا ذكره الزركلي أيضاً وهو خلاف المستفيض عن الكتب القديمة، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى 81/8، ومعجم المؤلفين 79/11، والأعلام 313/6.

([2]) البداية والنهاية 55/13: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 197/6.

([3]) القفطي: تاريخ الحكماء: ص291، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 288/12، وينظر: العماري: الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره ص12، وماهر مهدي هلال: فخر الدين الرازي بلاغياً: ص38.

([4]) 241/5، 266/5.

([5]) 436/1.

obeikandl.com

المحيط[6] لأبي حيان الأندلسي (ت 745 هـ). ولعل السبب في تعدد هذه الكنى؛ هو أن العرب ـ ولاسيما في زمن الرازي ـ كانوا يرون أن كثرة الكنى دليل على علو المكانة والفضل.[7]

وعرف الرازي كذلك بـ (ابن الخطيب)[8] و(ابن خطيب الري)[9] نسبة إلى والده الذي كان خطيباً بالري.

أما ألقابه فقد تعددت، فلقّب بـ (الرازي) نسبة إلى الرّي، وهي نسبة على غير قياس، و (فخر الدين)،[10] و (الإمام)،[11] وبهذا اللقب الأخير عرف في كتب الأصول،[12] ولقب في مدينة هراة[13] بـ (شيخ الإسلام).[14]

إلا أن لقبه المزدوج (فخر الدين الرازي) هو الذي شاع في العصور المتأخرة، وأُهمل ما عداه.[15]

---

(6) 6/1، 476/3.

(7) الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص16.

(8) وفيات الأعيان 249/4، وطبقات الشافعية الكبرى 88/8.

(9) الوافي بالوفيات 248/4، والبداية والنهاية 55/13، وينظر: الزركان: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص15، وفخر الدين الرازي بلاغياً: ص38.

(10) وفيات الأعيان 249/4، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 21/5.

(11) ابن أبي أُصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ص 462، وطبقات الشافعية الكبرى 88/8.

(12) القرافي: شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول: ص 14، 60، 85، 300.

(13) هراة: مدينة كبيرة من أُمهات مدن خراسان، فتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان τ، وتقع في غربي أفغانستان. ياقوت: معجم البلدان 396/5، والحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار: ص594.

(14) وفيات الأعيان 250/4، طبقات الشافعية الكبرى 86/8.

(15) الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص15.

obeikandl.com

ولادته:

ولد الرازي في مدينة الرّي، [16] واختلفت المصادر في سنة ولادته، فمنها ما ذهب إلى أنها سنة 543 للهجرة، [17] ومنها ما ذهب إلى أنها سنة 544، [18] ومنها ما لم يقطع بسنة معينة بل احتمل أن تكون 543 أو 544. [19] والرأي الثاني هو الأرجح، لأنه ذكر عند تفسيره لسورة يوسف أنه بلغ السابعة والخمسين من عمره، [20] وأرخ انتهاءه من تفسير هذه السورة بسنة 601هـ، فقال: [21] "تم تفسير هذه السورة ـ بحمد الله تعالى يوم السابع من شعبان ختم بالخير والرضوان سنة إحدى وستمائة".

فيستنتج من هذا أنه ولد في سنة 544 هـ.

نشأته وأسرته:

نشأ الرازي في بلاد الري، في أسرة معروفة بالعلم، فكان والده خطيباً بالري، وذا علم واسع في الأصول، والفقه، والكلام، وله في العلم الأخير كتاب

([16]) الرّي: مدينة مشهورة بينها وبين نيسابور مئة وستون فرسخاً، وقيل إن الري مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها، فتحت في زمن عمر بن الخطاب τ في سنة 20هـ، وقيل في سنة 19هـ، وينسب إليها كثير من مشاهير العلماء. ينظر: البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع 690/1، ومعجم البلدان 116/3، والروض المعطار في خبر الأقطار: ص 278.

([17]) تاريخ ابن الوردي 182/2، لسان الميزان 427/4، ابن الأثير الكامل في التاريخ 288/12، ابن قاضي شهبة: طبقات النحاة واللغويين ص215.

([18]) شذرات الذهب 21/5، ابن هداية: طبقات الشافعية: ص218.

([19]) وفيات الاعيان 252/4.

([20]) التفسير الكبير 145/18.

([21]) التفسير الكبير 229/18.

obeikandl.com

سماه: (غاية المرام في علم الكلام). [22] وقد تعاهد ولده فخر الدين منذ نعومة أظفاره بالدرس والتعليم. فنشأ الرازي في أكناف والده ومعلمه الأول، ثم درس بعد ذلك على عدد من العلماء، وبرز في العلوم النقلية والعقلية. وتحدثنا المصادر [23] بأن الرازي كان فقيراً في مبدأ حياته، ثم أصبح غنياً فيما بعد. والسبب في ذلك، أنه كان في مدينة الري طبيباً ماهراً ـ وقيل تاجراً [24] ـ له ثروة ضخمة، وكان له ابنتان فلما أحس بالمرض زوَّج ابنتيه من ابني فخر الدين، وعندما مات آلت الثروة إلى الرازي.

ومما تذكره المصادر أَن علاقة الرازي بالسلاطين كانت جيدة، فكانوا يجلونه، ويحفظون له منزلته، وكان يقوم من جانبه بنصحهم، ففي أحد الأيام كان يعظ الناس، وكان السلطان شهاب الدين الغوري حاضراً فقال الرازي "في آخر كلامه: يا سلطان، لا سلطانك يبقى، ولا تلبيس الرازي وإن مردنا إلى الله. فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس". [25]

وذكر في تفسيره: أن أحد الملوك تعصب لقصة فيها طعن في النبي داودρ ، فرد عليه الرازي، وبيّن له الحقيقة [26] . واتصل بالسلطان شهاب الدين الغوري، فأكرمه السلطان وأجزل له العطاء. [27]

([22]) طبقات الشافعية الكبرى 242/7. وقد ألف سيف الدين الآمدي (ت631هـ) كتاباً بهذا العنوان، ويبدو أنه استعار اسم هذا الكتاب من والد الإمام الرازي، ينظر: مقدمة غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص14.

([23]) وفيات الأعيان 250/4.

([24]) لسان الميزان 427/4.

([25]) الكامل في التاريخ 216/12.

([26]) التفسير الكبير 191/26.

obeikandl.com

وأما علاقته بالسلاطين الخوارزمشاهية فكانت جيدة، ولا سيما السلطان محمد بن تكش المعروف بخوارزم شاه. وكانت هذه العلاقة بهم مما يحمد للرازي، لأن أولئك السلاطين صدّوا التتر عن التوغل في البلاد الإسلامية طيلة مدة حكمهم، فكان من واجب الرازي لذلك أن يساندهم.[28]

ومما ذكرته المصادر عن الرازي أنه كان له أخ يُدعى: الركن، وكان قد حَصَّلَ شيئاً من العلم، إلا أنه كان أهوج، كثير الاختلال، كثير الطعن والازدراء بأخيه الرازي. وكان الناس يسخرون منه، مما حدا بالرازي إلى أن يطلب من خوارزم شاه أن يتركه في بعض القلاع، ولا يدعه يخرج. ففعل السلطان ذلك، وأجرى له راتباً حتى مات.[29] وقد علق الدكتور فتح الله خليف على تصرف الرازي هذا قائلاً:[30] "ولا شك أن سلوك فخر الدين الرازي تجاه أخيه يدل على غلظ في القلب وجحد لروابط الدم والأسرة". ولكني لا أرى في تصرفه هذا ما يوجب وصفه بهذا الوصف، إذ إن هذا الأخ العاق بأخيه، قد اضطره إلى فعل هذا الفعل اضطراراً. وكان للرازي أربعة أبناء ثلاثة أولاد وبنت، فأما الأولاد فقد مات أحدهم - واسمه محمد - في حياة أبيه، فرثاه بأبيات من الشعر.[31] والآخران هما: ضياء الدين وشمس الدين، فقد كانا مقيمين بهراة عند وفاة والدهما.[32] وأما البنت فقد زوّجها علاء الملك العلوي الذي كان وزيراً للسلطان خوارزم شاه.

([27]) طبقات الشافعية الكبرى 86/8، شذرات الذهب 21/5.

([28]) الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص 10.

([29]) عيون الأنباء: ص465.

([30]) فخر الدين الرازي: ص11.

([31]) سيأتي الكلام عليها في ثقافته.

([32]) عيون الأنباء: ص465.

obeikandl.com

ولما هجم المغول على البلاد الإسلامية، وهزم خوارزم شاه، استنجد علاء الملك بجنكيز خان، فقربه الأخير وجعله من خواصه. وعندما أرادت فرقة من المغول الدخول إلى مدينة هراة طلب علاء الملك من جنكيز خان أماناً لأولاد الرازي، فأعطاه ذلك فأخرج أبناء الرازي من البلدة، في حين أعمل السيف في الآخرين.[33]

ثقافته:

يعد الرازي من أشهر أهل العلم بعد أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ)[34] فقد أثار إكبار المسلمين، حتى أن بعض من ترجم له عدّه مجدد القرن السادس الهجري.[35] ولا غرابة في ذلك فقد كان ذا علم واسع متنوع، تناول طائفة من العلوم الإسلامية وعلوم العربية، فكان أشبه بِمَعْلَمَةٍ، تشهد له بذلك مؤلفاته المتعددة.

كان الرازي متبحراً في العلوم العقلية والنقلية، حتى قيل إنه "فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل"،[36] وكانت له ذاكرة قوية ساعدته على حفظ متون عدد من الكتب القيّمة، حتى قيل: "أنه حفظ الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين"[37] الجويني.

وأما في أصول الفقه فقد كان أصولياً كبيراً، ويتجلى ذلك في كتابه (المحصول في علم الأصول) الذي نال عناية أهل العلم. إذ اختصره تاج الدين الأرموي (ت 656 هـ) وسماه (الحاصل)، واختصره سراج الدين الأرموي (ت 682 هـ) وسماه

([33]) عيون الأنباء: ص466.

([34]) الرازي مفسراً: ص5.

([35]) طبقات الشافعية الكبرى 202/1، والخوانساري روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات 701/4.

([36]) وفيات الأعيان 249/4.

([37]) الوافي بالوفيات 249/4.

obeikandi.com

(التحصيل)، وكذلك تاج الدين عبد الرحيم محمد الموصلي (ت 771 هـ)، وغيرهم[38] وأما شراحه فكثيرون، فقد شرحه شمس الدين الأصبهاني (ت 678 هـ)، وأبو العباس أحمد بن إدريس القرافي (ت 655 هـ)، وأحمد بن عثمان الجوزجاني (ت 744 هـ).[39] وشرحت هذه المختصرات والشروح، وأضحت مصدراً مهماً من مصادر علم الأصول.

وكان في الفقه من كبار الشافعية، وقد شرح (الوجيز) للإمام الغزالي[40] وأما في التفسير فقد كان مقدماً، وتفسيره الكبير يشهد لذلك بمادته الغزيرة، وشهرته الواسعة، وسيأتي الحديث عنه.

وكانت له مشاركة لا تنكر في علوم العربية، إذ اختصر كتابي عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) في كتاب سماه: (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، وهو كتاب متداول مطبوع. وشرح (نهج البلاغة) لكن لم يتمّه،[41] وشرح (سقط الزند) لأبي العلاء المعري،[42] وله شرح لديوان المتنبي.[43] وصنف في النحو كتاباً سماه (المحرر في دقائق النحو)،[44] وشرحاً لقطعة من (المفصّل).[45]

([38]) حاجي خليفة: كشف الظنون 1616/2.
([39]) كشف الظنون 1615/2.
([40]) وفيات الأعيان 249/4.
([41]) الوافي بالوفيات 255/4.
([42]) عيون الأنباء ص470، ويقول الزركان: «توجد منه نسخة في (سوهاج) (أدب 467) ولهذه النسخة صورة في معهد المخطوطات» فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص102.
([43]) الوافي بالوفيات 255/4، ابن قاضي شهبة: طبقات النحاة واللغويين ص215.
([44]) أشار إليه في المحصول 1: 1: 333، 1: 1: 528.
([45]) ابن قاضي شهبة: طبقات النحاة واللغويين: ص215.

وللرازي شعر[46] قال فيه الصفدي[47]: "ليس في الطبقة العليا ولا السفلى وشعر بالفارسية لعله يكون فيه مجيداً". ومن شعره الذي يبدو فيه صدق الشعور وحرارة العاطفة ما رثى به ابنه محمداً، كقوله فيه:

سأبكي عليكَ العمرَ دائماً ... ولم أنحرفْ عن ذاكَ في الكيفِ

سلامٌ على قبرٍ دُفنتَ بتربهِ ... وأتحفَكَ الرحمنُ بالكرمِ الجمِّ

وما صدّني عن جعلِ جفني مدفناً ... لجسمك إلا أنه أبداً يَهْمي

وأُقسمُ إنْ مَسّوا رُفاتي ورُمَّتي ... أَحسوا بنارِ الحُزنِ في مكمنِ

وهو شعر تبدو عليه مسحة العلماء ومصطلحاتهم من مثل: الكيف والكم برغم حرارة عاطفته.

وكان فوق ذلك مُبَرِّزاً في الفلسفة، والطب، والحكمة، والفراسة، والخلاف في علم الكلام. وباختصار فقد أخذ من كل علم بطرف "فالعلوم - في نظره لا تخرج عن كونها واجباً، أو مما لا يتم الواجب إلاّ به، أو مما لابد منه لتحقيق مصلحة من المصالح الدنيوية، أو مما لابد من تعلمه لمعرفة أضراره وأخطاره والدعوة إلى اجتنابها".[49]

رحلاته:

ما إن اكتمل علم الرازي، واستجمع أدوات البحث والمناظرة حتى بدأ أسفاره - على عادة العلماء في ذلك الوقت - مناقشاً أنداده من العلماء مناظراً للمخالفين له.

([46]) ينظر: هند حسين طه: الأدب العربي في إقليم خوارزم: ص141.

([47]) الوافي بالوفيات 249/4.

([48]) التفسير الكبير 229/18.

([49]) العلواني: مقدمة المحصول في علم الأصول 1: 1: 37.

obeikandi.com

وبدأ رحلاته بالذهاب إلى خوارزم، ولكنه أُخرج منها، لأنه جادل المعتزلة في أصول مذهبهم فلم يحتملوا ذلك.[50] ثم عاد إلى الري، وسافر إلى بلاد ما وراء النهر قاصداً بُخارى حيث ناظر هناك عدداً من مشاهير علمائها. ثم توجه إلى سمرقند، وخجند، وبناكيت، وغزنة، والهند، ويقول الدكتور فتح الله خليف:[51] إنه "لم يأت ذكر رحلته إلى الهند إلا عند الصفدي، وعلى غلاف مخطوطة القاهرة للمناظرات التي عقدها في بلاد ما وراء النهر". والحق أنه ذهب إلى الهند فعلاً، فهناك إشارة إلى ذلك في تفسيره وهي: "قال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله وختم له بالحسنى: دخلت بلاد الهند فرأيت أولئك الكفار مطبقين على الاعتراف بوجود الإله".[52]

ثم استقر أخيراً في هراة، حيث وافته المنية هناك. وكانت هذه الرحلات حافلة بالنقاش مع فرقة أخرى غير المعتزلة وهي الكرامية،[53] ورجع بسببه عدد كبير منهم إلى مذهب أهل السنة والجماعة.[54]

وقد جمع الرازي هذه المناظرات في كتاب خاص حواها، وستأتي الإشارة إليه في كتبه المطبوعة.

عقيدته:

كان الرازي سنياً أشعرياً، وقد صرح بذلك في أحد كتبه فقال:[55] "وقد علم العالمون أنه ليس مذهبي، ولا مذهب أسلافي إلا مذهب أهل السنة

([50]) الوافي بالوفيات 249/4.

([51]) فخر الدين الرازي: ص16.

([52]) التفسير الكبير 10/18.

([53]) وهم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرّام (ت 225هـ) وكان من زهاد سجستان وهم فرق كثيرة أشهرها: الطرايقة والإسحاقية، والعابدية وقال الرازي عنهم: «إنهم يعتقدون أن الله تعالى جسم وجوهر ومحل للحوادث ويثبتون له جهة ومكاناً». ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص67.

([54]) وفيات الاعيان 250/4.

obeikandl.com

والجماعة". وأما كونه أشعرياً فهذا يبدو واضحاً في مناقشته لآيات العقائد.[56] ويبدو أن لعقيدة والده تأثيراً فيه، إذ إنه ـ كما ذكرت سابقاً ـ قد تلمذ عليه، وكان والده أشعرياً، وقد كتب في نهاية كتابه (غاية المرام) فصلاً عن فضائل أبي الحسن الأشعري.[57]

وبرغم كون الرازي أشعرياً إلا أنه خالفهم في مسألة أفعال الإنسان إذ ذهب فيما دلّ عليه أكثر تفسيره إلى الجبر، أي: "نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى"[58]

وهذا ظاهر في تفسيره في مواضع كثيرة[59]، من ذلك ما ذهب إليه من تعليل لحصول البغض والعداوة في القلب، من أنهما ليسا باختيار العبد، إذ قال:[60] "وإذا وقف الإنسان على هذه الحالة علم أنه لا خلاص من الاعتراف بالجبر" في حين ذهب الأشاعرة إلى فكرة الاكتساب، وهي كما فسّرها أبو الفتح الشهرستاني:[61] "أن الله تعالى أجرى سنته بأن يحقق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها: الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له. ويسمى هذا الفعل: كسباً. فيكون خلقاً من الله تعالى: إبداعاً وإحداثاً، وكسباً من العبد: حصولاً تحت قدرته".

([55]) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص92، وينظر في هذه المسألة الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص59، وما بعدها.

([56]) الرازي مفسراً: ص288، وأحمد صبحي: في علم الكلام (الأشاعرة) ص: 221-285.

([57]) طبقات الشافعية الكبرى 242/7.

([58]) الشهرستاني: الملل والنحل 85/1.

([59]) ينظر مثلاً: 84/13، 162، 153/14، 147/15. وينظر: الرازي مفسراً: ص296.

([60]) التفسير الكبير 64/15.

([61]) الملل والنحل 97/1.

obeikandl.com

والسبب في ظهور فكرة الجبر كان - كما قال ابن قتيبة [62] - ردّ فعل لمغالاة المعتزلة في أفعال العباد، إذ قالوا بالاختيار وخلق الأفعال. إلا أن الرازي كما يبدو قد مال إلى الاعتدال في هذا الموضوع في أواخر تفسيره، فعند تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [63] قال: [64] "مَنْ أَقرَّ بأن لهذا العالم إلهاً، بقيت له مقامات أخرى، فأولها: أن لا يتوغل في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التعطيل ولا يتوغل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى التشبيه، بل يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل، وأيضاً يجب أن يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين الجبر والقدر".

ولا شك أن هذا القول يخالف ما ذهب إليه أولا من القول بالجبر فلعله شعر في أواخر حياته أن ما اختاره أولا من القول بالجبر ليس صحيحاً ولذا غيَّر رأيه ومال إلى التوسط بين الجبر والاختيار. وهذا ليس بمستغرب إذ أنه غيّر رأيه في عدة مسائل نحوية في تفسيره عندما رأى أن ما اختاره أولاً ليس بصحيح، كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد.

وقد ذكر الدكتور محسن عبد الحميد، [65] هذا التعليل واحتمل أيضاً أن يكون الكلام الأخير إضافة من أحد تلاميذه، وهذا الاحتمال بعيد إذ لا دليل عليه.

([62]) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: ص231، ضمن كتاب عقائد السلف.

([63]) فصّلت: 30.

([64]) التفسير الكبير 27/121-122.

([65]) الرازي مفسراً: ص296-297.

obeikandl.com

وكان الرازي شافعيّ المذهب، إذ صرح بذلك في تفسيره، [66] ويبدو هذا واضحاً في مناقشته لآيات الأحكام فيه، وقد ترجمت له أيضاً كتب طبقات الشافعية، [67] وعدته واحداً من كبار رجالها. وكان شديد الإعجاب بالإمام الشافعي، يلمس هذا كل من يقرأ كتابه: (مناقب الشافعيّ). وكان يناقش الفرق الإسلامية المخالفة لعقيدته، ويدخل في مناقشات مع غير المسلمين أيضاً. وتفسيره الكبير خير شاهد على هذا.

ولكننا نجد من العلماء من يطعن على عقيدته، فالذهبي ـ مثلاً ـ يقول عنه: [68] "عَرِيٌّ من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تُورث الحيرة". وقد دافع عنه تاج الدين السبكي وناقش أستاذه فيما ذهب إليه. [69]

والذي يلوح لي أنَّ السبب في طعن عدد من الأئمة المشهورين على الرازي عقيدته، هو مزجه الفلسفة والمنطق في أمور العقيدة، وهي ـ كما يقول الدكتور فتح الله خليف [70] ـ : "اتهامات تقليدية اتُّهم بها كل من اشتغل في هذا الحقل".

ويمكن أن يُعتذر عنه بأنه كان يصطنع أساليب خصومه في الردّ عليهم فقد كان بالمرصاد للمعتزلة، وكانت الفلسفة سلاح المعتزلة، فنازلهم بسلاحهم نفسه.

ومع هذا فقد رجع الرازي في آخر حياته عن الفلسفة، وعن علم الكلام فكان يبكي ويقول: "يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام" [71] وكتب وصية تدل

([66]) التفسير الكبير 130/29.
([67]) طبقات الشافعية الكبرى 81/8، ابن هداية: طبقات الشافعية: 216.
([68]) ميزان الاعتدال 340/3.
([69]) طبقات الشافعية الكبرى 88/8.
([70]) فخر الدين الرازي: ص7.
([71]) الداودي: طبقات المفسرين 215/2.

obeikandl.com

على عقيدة صافية.[72] وكان يؤثر الاعتقاد الفطري على الاعتقاد القائم على الفلسفة. فقد قيل: إنه "كان مع تبحره في الأصول، يقول: من التزم دين العجائز فهو الفائز"[73] وكان إلى جانب ذلك رقيق القلب "يلحقه الوجد حال الوعظ ويكثر من البكاء".[74] وله في تفسيره لمحات صوفية رقيقة، وهو ينسب نفسه إلى المتصوِّفة فيعبر عنهم بقوله:[75] "أصحابنا".

وكان ابن عربي قد بعث له رسالة يدعوه فيها إلى الانضمام إلى الطريقة الصوفية[76]، وهذا يوحي - بلا شك - بمكانته عند علماء عصره من أهل هذه الطريقة أيضاً.

شيوخه:

كان لوالد الرازي فضل كبير عليه، فهو أستاذه الأول ومنه أخذ علم الأصول والمذهب.[77] ولذا كان الرازي كثير الذكر له في مؤلفاته،[78] وقد سبق الكلام على مكانة ذلك الوالد، ورعايته لابنه في أثناء كلامي على نشأة الرازي. وتلمذ الرازي كذلك على الكمال السّمناني،[79] ومجد الدين

([72]) عيون الأنباء: ص466، طبقات الشافعية الكبرى 90/8.

([73]) لسان الميزان 427/4 والبداية والنهاية 55/13.

([74]) وفيات الأعيان 249/4.

([75]) التفسير الكبير 84/21.

([76]) رسائل ابن عربي: الرسالة الخامسة عشرة.

([77]) وفيات الأعيان 252/4.

([78]) التفسير الكبير 101/1، 146/20، 247/26، 47/27، 213/29 ومناقب الشافعي: ص23، ولوامع البينات: ص323.

([79]) وفيات الأعيان 250/4، وهو أحمد بن زر بن كمّ بن عقيل، مات بنيسابور سنة 575هـ، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى 16/6.

obeikandl.com

الجيلي[80] الذي كان من "الأفاضل العظماء في زمانه، وله تصانيف جليلة" [81] وقيل: أنه تلمذ على الطبسي صاحب: (الحائز في العلم الروحاني)، [82] واشتغل بالفقه على والد محي الدين قاضي مرند، [83] وقيل: إنه تلمذ على محمود بن علي بن الحسن الحمصي الشيعي. [84]

وممن تلمذ عليهم في علم الحديث الحافظ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن رافع الأسدي[85]، وقد ذكره في تفسيره فقال: [86] "أخبرني الشيخ الورع الحافظ الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان، بحلب، مسنداً عن النبي (ص) أنه قال لبعض أصحابه: (أتعجز عن أن تأتي وقت النوم بألف حسنة؟ فتوقف، فقال النبي (ص): قل سبحان الله والحمد لله مسنداً: والله أكبر، مئة مرة، يُكتب لك بها ألف حسنة) وسمعتُهُ يقول رحمه الله مسنداً: (من قال خلف كل صلاة مكتوبة عشر مرات سبحان الله، وعشر مرات الله أكبر أدخل الجنة)".

فقول الرازي: أخبرني، وسمعته، وتسميته له بالأستاذ، يدل على أنه قد تلمذ عليه.

([80]) وفيات الأعيان 250/4.

([81]) عيون الأنباء: ص462.

([82]) الوافي بالوفيات 249/4.

([83]) عيون الأنباء: ص462.

([84]) فقيه وأصولي، ومتكلم، من آثاره: التعليق الكبير، والمصادر في أصول الفقه، وبداية الهداية، وغيرها. وكان حيا في سنة 600هـ، ينظر: روضات الجنات 635/4، ومعجم المؤلفين 181/12. وقد تفرد الخوانساري بهذه الرواية. ينظر: روضات الجنات 700/4.

([85]) لم أقف على ترجمته، وقد ترجم السبكي لابنه عبد الله، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى 155/8، وشذرات الذهب 170/5. وقد وصفه السبكي (بالمحدث) عندما ترجم لحفيده أحمد بن عبد الله طبقات الشافعية 17/8.

([86]) التفسير الكبير 105/25.

obeikandl.com

وربّ قائل يقول: لم تذكر كتب التراجم أن الرازي ذهب إلى حلب فكيف يُعلل قوله: (بحلب)؟ والجواب عن هذا هو أنه من الراجح جداً أن الرازي قد أدّى فريضة الحج، إذ ليس من المعقول لمثله إلا يؤديها، فلعله عندما أداها عرّج على بلاد الشام ولقي علماءها، في طريق عودته منها.

تلاميذه:

كان للرازي تلاميذ كثيرون في مختلف فروع المعرفة، فكان إذا ركب سار معه نحو ثلاثمئة طالب علم على اختلاف اتجاهاتهم في التفسير والفقه والكلام، والطب، والفلسفة، وغير ذلك.[87] وكان يفخر بهؤلاء التلاميذ فيقول:[88] "ولم تَزَلْ تلامذتي وتلامذة والدي في سائر أطراف العالم يدعون الخلق إلى الدين الحق، والمذهب الحق، وقد أبطلوا جميع البدع". ومن أشهر تلامذته:

1- إبراهيم بن أبي بكر الأصفهاني: وهو تلميذه الذي أملى عليه وصيته قبيل وفاته.[89]

2- إبراهيم بن علي بن محمد السلمي (قطب الدين المصري) : وهو طبيب مغربي الأصل، أقام مدة بمصر، ثم انتقل إلى خراسان، ومن كتبه: شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا. وقتل بنيسابور لما دخلها التتر سنة 618هـ.[90]

3- أبو بكر بن محمد (شرف الدين الهروي) وهو ـ كما يقول الخوانساري[91] من أجلاء الأشاعرة.

([87]) عيون الانباء: ص462، ابن قاضي شهبة: طبقات النحاة واللغويين: ص215.

([88]) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص92، 93.

([89]) عيون الانباء: ص466، طبقات الشافعية الكبرى 90/8.

([90]) عيون الأنباء: ص471، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ص254، الأعلام 51/1.

([91]) روضات الجنات 702/4.

obeikandl.com

4- أحمد بن خليل (شمس الدين الخويّي) : كان عالماً بالطب والشريعة توفي بدمشق سنة 637هـ. ومن كتبه: كتاب في النحو، وآخر في علم الأصول، وغيرهما.[92]

5- شهاب الدين النيسابوري: كان من كبار تلامذته، وكان يجلس مع بقية التلاميذ الكبار قريباً من الرازي.[93]

6- عبد الحميد بن عيسى (شمس الدين الخسروشاهي): ولد في قرية خسروشاه سنة 580 هـ، وأتقن العلوم الطبية والشرعية، وتوفي بالشام سنة 652هـ. ومن كتبه: مختصر لكتاب (المهذب) في الفقه، ومختصر كتاب (الشفاء) لابن سينا، وتتمة كتاب (الآيات البينات) الكبير للرازي.[94]

7- عبد الرحمن بن محمد (زين الدين الكشي): وهو من كبار تلامذته وله كتاب: (تعديل المعيار شرح تنزيل الأفكار) في المنطق، وكتاب (حدائق الحقائق في المنطق والطبيعي والإلهيات).[95]

8- عمر بن محمد بن عمر (أبو حفص الفرغاني): قال عنه القفطي:[96] "وعمر هذا قرأ النحو العربي في بلاد العجم على عدة مشايخ، وعرف منه طرقاً وقرأ المنطق اليوناني أيضاً على الفخر الرازي وطبقته، وأجاد النوعين، وشارك فيما سواهما مشاركة بليغ" وتوفي سنة 632 هـ.

([92]) عيون الأنباء: ص646، معجم المؤلفين 216/1، وخوى: بلد مشهور في أذربيجان، وإليه ينسب شمس الدين. وبعض المصادر تسميه: الخوئي أو الخوبي، والصحيح ما ذكرته، ينظر: معجم ما استعجم 520/2، معجم البلدان 408/2، الروض المعطار: ص224.

([93]) عيون الأنباء: ص462.

([94]) عيون الأنباء: ص648، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان 543/8 معجم المؤلفين 103/5.

([95]) عيون الأنباء: ص462 تاريخ مختصر الدول: ص254، كشف الظنون 632/1.

([96]) إنباه الرواة على أنباه النحاة 331/2.

9- الليثي: ذكره الشهرزوري وقال عنه: أنه من التلاميذ الكبار.[97]

10- محمد بن تكش: المعروف بالسلطان خوارزم شاه، كان يكن للرازي احتراماً كبيراً، فقد قال الخوانساري [98] عند كلامه على الرازي: "وربما كان يتكلم مع السلطان محمد الخوارزم شاه بكلمات خشنة، فيحتمل ذلك منه لكونه تلميذه".

11- محمد بن الحسين (تاج الدين الأرموي): توفي في بغداد سنة 656هـ[99]، وقيل 654هـ [100]، ومن كتبه: مختصر المحصول وسماه (الحاصل) ونقل (الرسالة الكمالية في الحقائق الإلهية) ـ التي ألفها الرازي بالفارسية ـ إلى العربية في دمشق سنة 625هـ وهو شيخ ابن أبي أصيبعة.[101]

12- محمد بن رضوان: وهو الذي طلب من الرازي تفسير (عيون الحكمة) لابن سينا.[102]

13- محمد بن سعود (أبو يعلى الماليني الهروي): النحوي اللغوي قيل إنه كان ينتحل مذهب الكرامية، وأستبعد ذلك إلا أن يكون قد رجع عن مذهبه هذا لأن الخصومة بين الرازي والكرامية كانت شديدة جداً. وأيضاً فإنه كما يبدو كان مقرّباً من الرازي، فقد دخل يوماً عليه فعتب عليه الرازي لانقطاعه عنه، فارتجل معتذراً:

مجلسك البحر وأني امرؤ لا أحسن السبح فأخشى من الغرق

([97]) نزهة الأرواح 292-آ، وينظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص33.

([98]) روضات الجنات 701/4.

([99]) معجم المؤلفين 244/9.

([100]) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص34.

([101]) عيون الأنباء: ص470، تاريخ مختصر الدول: ص254، كشف الظنون 1616/2.

([102]) كشف الظنون 1186/2.

obeikandl.com

14- محمد بن محمود (تاج الدين الزوزني): ذكره الخوانساري.[103]

15- محمد بن ناماور بن عبد الملك (أفضل الدين الخونجي): ولد سنة 590 هـ، كان عالماً بالحكمة والمنطق، انتقل إلى مصر وولي قضاءها بعد العز بن عبد السلام، توفي سنة 646 هـ، وذهب السيوطي إلى أنه توفي سنة 642 هـ.[104] ومن مصنفاته: (كشف الأسرار عن غوامض الأفكار) في الحكمة، و (الموجز) في المنطق، و (الجمل) اختصار (نهاية الأمل) لابن مرزوق التلمساني، وغير ذلك.[105]

16- محمد بن نصر بن الحسين (ابن عنين الشاعر): كان يحضر دروس الرازي في مدينة خوارزم، وله في الرازي عدة مدائح، فمن ذلك ما يروى أن بعض الجوارح كان يطارد حمامة في يوم شاتٍ، فوقعت في مجلس الرازي، ورجع عنها الجارح، فأخذها الرازي واعتنى بها فأنشد ابن عنين:[106]

مـــن نبّـــأ الورقـــاءَ أنّ محلَّكـــم حَـرَمٌ وأنَّـك ملجـأٌ للخـائِفِ[107]

17- محمود بن أبي بكر (سراج الدين الأرموي): ولد بالموصل عام 594 هـ، وأصله من بلاد أذربيجان، ذكره العبري في تلاميذ الرازي،[108] وقد شك الزركان في القول بأنّه قد تلمذ على الرازي على أساس أن الأرموي ولد بالموصل سنة 594 هـ ودرس بها في حين توفي الرازي في مدينة هراة سنة 606

([103]) روضات الجنات 703/4.

([104]) حسن المحاضرة 541/1.

([105]) تاريخ مختصر الدول: ص254، معجم المؤلفين 73/12، الأعلام 122/7.

([106]) ديوان ابن عنين: ص95، وينظر أيضاً: ص53، 96.

([107]) ينظر في ترجمته: وفيات الأعيان 251/4، 14/5، ومقدمة ديوانه ص8، الدلجي: الفلاكة والمفلوكون: ص 124.

([108]) تاريخ مختصر الدول: ص 254.

obeikandl.com

هـ، فكيف استطاع أن يتلمذ له وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة؟[109] ومن مصنفاته: شرح الوجيز ولوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار، وتلخيص الأربعين في أصول الدين للرازي وسمّاه: اللباب، واختصر (المحصول) في كتاب سمّاه: التحصيل.[110]

18- محي الدين قاضي مرند: وقد صرح بتلمذته له فقال:[111] "لمّا كان الشيخ فخر الدين بمرند، أقام بالمدرسة التي كان أبي مدرسها وكان يشتغل (عليه)[112] بالفقه، ثم اشتغل بعد ذلك لنفسه بالعلوم الحكمية، وتميز حتى لم يوجد في زمانه أحد يضاهيه، واجتمعت به أيضاً بهمدان، وهراة، واشتغلت عليه".

19- المفضل بن عمر (أثير الدين الأبهري) منطقي له اشتغال بالحكمة والطبيعيات، والفلك توفي سنة 663 هـ. ومن كتبه: (هداية الحكمة)، و (الايساغوجي) و (مختصر علم الهيئة) وغيرها.[113]

ووجدت أن هناك شخصين رويا عن الرازي أبياتاً شعرية وأغلب الظن أنهما قد تتلمذا عليه، وهما:

1. أبو عبد الله الحسين الواسطي: نقل عنه ابن خلكان قوله:[114] "سمعت فخر الدين بهراة ينشد على المنبر عقيب كلام، عاتب فيه أهل البلد".

([109]) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص 36.

([110]) تاريخ مختصر الدول: ص 254، روضات الجنات 707/4، كشف الظنون 1616/2.

([111]) كشف الظنون 1615/2، معجم المؤلفين 155/12.

([112]) عيون الأنباء: ص 462.

([113]) في الأصل (عنه).

([114]) وفيات الأعيان 252/4.

obeikandi.com

2. بديع الدين البندهي: قال عنه ابن أبي أُصيبعة: [115] "أنشدني بديع الدين البندهي مما سمعه من الشيخ فخر الدين بن خطيب الري لنفسه".

وفاته:

بعد أن أنهى الرازي رحلاته فيما وراء النهر ألقى عصا الترحال في هراة حيث وافته المنية هناك.

وقيل في سبب وفاته: إن الكرامية هم الذين كانوا وراء ذلك، إذ دسّوا له السُّم.[116]

لما كان بينه وبينهم من الخصومات العقيدية على ما تقدم بيانه. وذكرت المصادر [117] أن وفاته كانت في سنة 606 هـ، ولكنها اختلفت في الشهر الذي توفي فيه على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يوم الجمعة، في الخامس عشر من رمضان.[118]

الثاني: في شهر ذي الحجة.[119]

والثالث: في مطلع شوال، في عيد الفطر المبارك.[120] وربما يكون هو الأرجح لأن أغلب المصادر عليه.

([115]) عيون الأنباء: ص468.

([116]) شذرات الذهب 21/5.

([117]) انفرد ابن قنفذ القسنطيني فذكر انه توفي في 616 هـ، ينظر: الوفيات ص 308، ومن المعاصرين ذكر احمد مكي الأنصاري أنه توفي سنة 605 هـ، ينظر: سيبويه والقراءات: ص 315، وذُكر في الطبعة الثالثة للتفسير في دار الفكر بأنه توفي سنة 604 هـ، وهذه الأقوال خلاف المستفيض عن المصادر القديمة.

([118]) ابن الساعي: الجامع المختصر 308/9.

([119]) القفطي: تاريخ الحكماء: ص292، مرآة الجنان 542/8، النجوم الزاهرة 198/6.

([120]) عيون الأنباء: ص 466، وفيات الأعيان 252/4، طبقات الشافعية الكبرى 93/8، لسان الميزان 427/4.

obeikandi.com

ثانياً: مصنفاته

صنف الرازي عدداً كبيراً من الكتب في مختلف فنون المعرفة، وقد ذكر ابن كثير [121] أن مؤلفاته تقارب المئتين، وهذا - وإن كانت تنقصه الدقة - إلا أنه يدل على كثرة تلك المؤلفات. [122] والحق أننا حين نمعن النظر في حياة الرازي لا نُدهش من كثرة ما صنّف، فهو - كما يروي عنه تلميذه شمس الدين الخوبي - كان يقول: "والله إني أتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل، فإن الوقت والزمان عزيز". [123]

ومن هذا الكلام تتضح لنا شخصية الرازي، فهو رجل قد نذر نفسه للعلم وقد كتب عدد من الباحثين في مؤلفات الرازي، منهم: بروكلمان[124] وعلي سامي النشار في مقدمة كتاب[125] (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) وجورج قنواتي في بحثه الموسوم (فخر الدين الرازي تمهيد لدراسة حياته ومؤلفاته) [126] ، والدكتور محمد صغير المعصومي الذي كتب بحثاً في الموضوع نفسه ألحقه بكتاب (النفس والروح) [127] . وكتب محمد صالح الزركان في كتب الرازي فصلاً حقق فيه ما نسب إليه من المؤلفات، وقسّمها على ثلاثة أقسام: كتب ثابتة النسبة إليه، وكتب مشكوك في نسبتها، وكتب منحولة. ثم حقق أماكن وجود المخطوطات في المكتبات. [128]

([121]) البداية والنهاية 55/13.
([122]) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص 56.
([123]) عيون الأنباء: ص 462.
([124]) ينظر: جورج قنواتي: فخر الدين الرازي تمهيد لدراسة حياته ومؤلفاته: ص201.
([125]) ص26-34.
([126]) نشر ضمن مجموعة دراسات تحت عنوان (الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين): ص193-234.
([127]) ص193.
([128]) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص56-164.

obeikandl.com

وكتب الدكتور محسن عبد الحميد [129] وماهر مهدي هلال [130] في الموضوع نفسه، وقد تابعا الزركان في منهجه في تقسيم مصنفاته، كما كتب محمد حسن العماري، [131] وفتح الله خليف [132] في الموضوع ذاته.

ثم كان عليّ أن أكتب عن مصنفات الرازي، فجمعت ما ذكرته المصادر القديمة، واستعنت بما كتبه المحدثون، فوجدت أن الزركان قد وفّى الموضوع حقّه من البحث، فأفدت منه كثيراً عند كتابتي هذا الموضوع إلا أني عدلت عن طريقته في تقسيم كتب الرازي على مجموعات بحسب موضوعاتها، إلى تقسيم آخر، لأن ما يزيد على نصف تلك الكتب ما يزال مفقوداً. والعنوان وحده قد لا يكفي للتصنيف في مجموعة معينة، لذا قَسَّمت ما صح من كتب الرازي [133] على ثلاثة مجموعات: الكتب المطبوعة، والمخطوطة والمفقودة ثم رتبتها بحسب حروف الهجاء.

وها أنا ذا أورد هذه الكتب بحسب التقسيم الذي ذكرتُ:

مصنفاته المطبوعة:

طبع عدد غير قليل من كتب الرازي، وسأذكرها مع إشارة إلى موضوع طائفة منها ليتعرف القارئ مادة كل منها:

1. الأربعين في أصول الدين: ألف هذا الكتاب لأجل ابنه محمد والكتاب في أصول الدين، وهو يتناول أصول العقائد كما يدل على ذلك عنوانه. طبع في حيدر آباد - بالهند سنة 1353 هـ.

([129]) الرازي مفسراً: ص35.

([130]) فخر الدين الرازي بلاغياً: ص69.

([131]) الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص209.

([132]) فخر الدين الرازي: ص159.

([133]) وقفت على هذه الكتب من المصادر القديمة، ومما كتبه محمد صالح الزركان خاصة، ومن ملاحظات الدكتور محسن عبد الحميد، وما هو مهدي هلال، وما ترجح عندي.

obeikandl.com

2. أساس التقديس: وهو في علم الكلام، تكلم فيه على تأويل المتشابهات من الآيات: كمسألة الاستواء، والمكان وغيرها. طبع في مطبعة كردستان بمصر سنة 1318هـ،[134] وطبع أيضاً بمطبعة مصطفى الحلبي سنة 1254هـ.

3. أسرار التنزيل وأنوار التأويل: طبع في مصر بالمطبعة البهية سنة 1935، وطبع في دمشق دار الفكر للطباعة 1982م.[135]

4. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: رسالة ضمّت عشرة أبواب تناول فيها فرق المسلمين والمشركين مبيناً اعتقاداتهم، والفروع التي انقسمت إليها هذه الفرق. وقد نشره علي سامي النشار: سنة 1356 هـ - 1938 م وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة.

5. التفسير الكبير: طبع في استانبول أول مرة سنة 1294 هـ، وبهامشه تفسير أبي السعود، وطبعة ثانية في مصر بالمطبعة الخيرية سنة 1308 هـ،[136] ثم بالمطبعة البهية المصرية سنة 1357 هـ - 1938 م، وكتب على هذه الطبعة بأنها الطبعة الأولى. ثم أعادت هذه الطبعة دار الكتب العلمية في طهران، فجاءت أفضل من الأولى إخراجاً، وهي التي اعتمدتها في بحثي هذا. وطبع بدار الفكر في بيروت ثلاث طبعات، الأولى سنة 1401 هـ - 1981 م، والثانية سنة 1403 هـ - 1983 م، والثالثة سنة 1405 هـ - 1985 م.

6. جامع العلوم: وهو موسوعة تشمل مختلف فروع المعرفة،[137] وهو باللغة الفارسية.

([134]) يوسف سركيس: معجم المطبوعات 916/1.

([135]) ابتسام الصفار: معجم الدراسات القرآنية: ص 134، وقد ذكرته مع الكتب التفسير.

([136]) وهي طبعة كثيرة الأخطاء.

([137]) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص 112.

obeikandl.com

7. الخمسين في أصول الدين: وهو مختصر في أصول الدين تكلم فيه الرازي على حدوث العالم، والإلهيات مثل: وجود الصانع، وصفاته وغير ذلك. طبع بعنوان (المسائل الخمسون) ضمن مجموعة رسائل، وتحمل هذه الرسالة الرقم الخامس عشر في الترتيب، تمّ الطبع في مطبعة كردستان العلمية ـ بمصر سنة 1338 هـ.
8. شرح الإشارات والتنبيهات: وهو شرح لكتاب (الإشارات والتنبيهات) لأبي علي بن سينا (ت 428 هـ) وهو كتاب في الفلسفة، والمنطق، والطبيعيات، والإلهيات، وقد اشتد الرازي في مناقشته لآراء ابن سينا في المسائل المتقدمة. طبع الكتاب في الأستانة سنة1290 هـ، ثم طبع بالمطبعة الخيرية بالقاهرة سنة 1325 هـ، وكلتا الطبعتين كانت مع شرح نصير الدين الطوسي للكتاب نفسه.
9. عجائب القرآن: وهو كتاب في شرح معنى (لا إله إلا الله) وشرح أسرارها وفوائدها، وبيان الأحكام الفقهية المتفرعة عنها. طبع بتحقيق: الدكتور السيد الجميلي، في دار الهلال ـ بيروت سنة 1405 هـ - 1985 م. ويلاحظ أنه لم تذكر المصادر كتاباً للرازي بهذا الاسم، بل أشار بعض الباحثين [138] إلى أن له رسالة في (التوحيد) أو في (تفسير لا إله إلا الله). والراجح أن هذا الكتاب هو الرسالة نفسها. ويلاحظ كذلك أن محقق الكتاب لم يُحقق نسبة الكتاب للرازي، ولم يذكر أماكن المخطوطات التي اعتمدها فكان لا بد لي أن أتحقق ذلك بنفسي من داخل الكتاب، وبعد قراءتي له تبين لي أنه للرازي وذلك من خلال ملاحظة عدة مسائل وردت في هذا الكتاب، ووردت كذلك في كتبه الأُخرى، وبالألفاظ أنفسها مع تغيير طفيف، مما يؤكد صحة عزو الكتاب له، فمن ذلك:

([138]) ينظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص 120.

obeikandl.com

- مسألة عدم الإضمار في (لا إله إلا الله).[139]
- مسألة كيفية التلفظ بالشهادة.[140]
- القول بأن سليمان عليه السلام هو الذي جاء بعرش ملكة سبأ والأدلة على ذلك.[141]

10. عصمة الأنبياء: واسمه يدل على مادته، فهو دفاع عن رسل الله عليهم السلام، يردّ فيه الرازي على ما تأوله بعض الجهّال من آيات القرآن في الطعن فيهم. نشر لأول مرة سنة 1355 هـ: تعليق وتصحيح إدارة الطباعة المنيرية، وطبع أيضاً بمطبعة الأمل في حمص ـ بسوريا، وطبع أيضاً في القاهرة ـ دار الثقافة العربية، سنة 1383 هـ - 1964 م.
11. رسالة في الفراسة: تكلم في هذه الرسالة على فضيلة هذا العلم ومكانته، ثم تكلم على أمزجة الإنسان، وأعضائه من حيث دلالتها على أخلاق ذلك الشخص. طبع بعنوان: (كتاب الفراسة)، وهو في (76) صفحة، وطبع بتحقيق: يوسف مراد، في باريس سنة 1939.
12. لباب الإشارات: وهو كتاب هذّب فيه كتاب الإشارات لأبي علي بن سينا، ويضم موضوعات منطقية، وفلسفية، وبحوث في الطبيعيات والإلهيات. طبع لأول مرة سنة 1376هـ، بمطبعة السعادة ـ بمصر، وقد عني بتصحيحه: محمد بدر الدين النعساني.
13. لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات: واسمه يدل على مادته، فقد تأول فيه بيان معنى الاسم ودلالته وشرح فيه معنى (لا إله إلا الله) وما قيل

([139]) التفسير الكبير 174/4، ولوامع البينات: ص 124، وعجائب القرآن: ص121-122.
([140]) لوامع البينات: ص131 -132، وعجائب القرآن: ص 129-130.
([141]) التفسير الكبير: 197/20-198، وعجائب القرآن: ص 44-45.

obeikandl.com

فيها، ثم تناول أسماء الله الحسنى وشرحها وبيّن ما قيل فيها متناولاً دلالاتها اللغوية والاصطلاحية الإسلامية والإشارية. وهو أحد مصادري في هذا البحث، إذ رجعت إليه بقصد الموازنة بين ما فيه من نحو، وما في تفسيره الكبير. طبع طبعة أولى سنة 1323 هـ، بالمطبعة الشرقية بمصر، بعناية محمد بدر الدين النعساني، وطبع في القاهرة أيضاً سنة 1396 هـ - 1976 م، بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

14. المباحث المشرقية (في علم الإلهيات والطبيعيات): تكلم فيه على الوجود والعدم، والقدم والحدوث وعلى الكيفيات وأنواعها والعلة وأنواعها. وفي الإلهيات تكلم في إثبات واجب الوجود، وبيان صفاته وأفعاله، وعلى ضرورة وجود النبي. ثم أفاض في الحديث عن علم الطبيعيات. طبع في مجلدين بحيدر آباد ـ الهند. ثم في طهران ـ مكتبة الأسدي، سنة 1966.

15. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين: وهو في علم الكلام، وقد ألفه بناءً على التماس من علماء وفلاسفة، قال في مقدمته: [142] "التمس مني جمع من أفاضل العلماء، وأماثل الحكماء، أن أصنف لهم مختصراً في علم الكلام مشتملاً على أحكام الأصول والقواعد". وتكلم فيه على مبادئ هذا العلم، وأوضح ما قيل في الإلهيات والنبوات. طبع لأول مرة بالمطبعة الحسينية المصرية سنة 1323 هـ، وقد عني به: محمد بدر الدين النعساني.

16. المحصول في علم أصول الفقه: وهو من الكتب المشهورة عند العلماء ولاسيما علماء الأصول، وقد تناول فيه علم أصول الفقه على طريقة المتكلمين [143] وتقوم هذه الطريقة على "بحث هذا العلم على الطريقة التي يُبحث بها علم

([142]) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين: ص2.

([143]) محمد أبو زهرة: أُصول الفقه: ص20.

الكلام، فيقرون الأصول من غير التفات إلى موافقة فروع المذاهب له، أو مخالفتها إياها" [144] وقد سبق الكلام على مكانة هذا الكتاب عند العلماء. وقد أفدت منهم في بحثي هذا في استقاء بعض المواد النحوية. طبع لأول مرة عام 1399 هـ - 1979 م، بتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، في المملكة العربية السعودية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

17. المعالم في أصول الدين: ويشتمل هذا الكتاب على خمسة أقسام: تكلم فيها على علم أصول الدين، وأصول الفقه، والفقه، والأصول المعتبرة في الخلافيات، والأصول المعتبرة في آداب النظر والجدل [145] طبع بهامش (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين) الذي سبق ذكره.

18. مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر: وهو كتاب يضم المناظرات التي وقعت بينه وبين العلماء في بلاد ما وراء النهر في موضوعات مختلفة في الفلسفة، والأصول، والفقه، والكلام. طبع لأول مرة عام 1355 هـ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد ـ الهند، ثم نشره الدكتور فتح الله خليف في بيروت عام 1966.

19. مناقب الإمام الشافعي: تكلم فيه الرازي على نسب الإمام الشافعي وعلى مكانته في اللغة والفقه والتفسير، وأجاب عمّا يؤخذ على مذهبه طبع في القاهرة سنة 1279 هـ.

20. النفس والروح: وهو كتاب في الأخلاق، تكلم فيه على النفس والروح والفرق بينهما: وبحث في ماهية النفس وجوهرها، وطرائق معالجة أمراض النفس، ومراتب الأرواح البشرية. ويبدو واضحاً تأثره بكتاب إحياء علوم الدين لأبي

([144]) محمد النيفر: أصول الفقه: ص21.

([145]) المعالم في أصول الدين: بهامش محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين: ص3.

obeikandl.com

حامد الغزالي في بحثه لهذه الموضوعات. طبع بتحقيق: الدكتور محمد صغير المعصومي، وهو من مطبوعات معهد الأبحاث الإسلامية، إسلام أباد - باكستان.

21. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: وهو مختصر من كتابي عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة. طبع بمطبعة الآداب - بالقاهرة، سنة 1317 هـ، ثم طبع بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور محمد بركات حمدي في دار الفكر في الأردن 1985.

مصنفاته المخطوطة: [146]

1- الآيات البينات في المنطق (صغير).
2- الأحكام العلائية في الأعلام السماوية.
3- الإشارة في علم الكلام.
4- أقسام اللذات.
5- بحر الأنساب.
6- تفسير سورة الإخلاص.
7- تفسير سورة الفاتحة، ويسمّى: (مفاتيح العلوم).
8- رسالة في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض سور القرآن.
9- الجدل.
10- الجمل في الكلام.
11- حدائق الأنوار.
12- حدوث العالم.

([146]) ينظر: في هذه المخطوطات وأماكن وجودها: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص56، وما بعدها.

obeikandl.com

13- حفظ البدن.

14- رسالة في حكمة الموت.

15- الخلق والبعث.

16- زاد المعاد.

17- رسالة في زيارة القبور.

18- سراج القلوب.

19- رسالة في شرح البراهين القائمة على إبطال التسلسل.

20- شرح سقط الزند.

21- شرح عيون الحكمة.

22- شرح القانون.

23- المحاكمات في أجوبة الاعتراضات التي أوردها الاقسرائي على شرح الكشاف.[147]

24- المطالب العالية.

25- المعالم في أصول الفقه.

26- المعالمين في الأصوليين.[148]

27- رسالة في معاني المتشابهات.

28- الملخص في الحكمة والمنطق.

29- المنتخب من المحصول.[149]

([147]) توجد نسخة منه في مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة برقم: (161 تفسير) ينظر: المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة: ص 8.

([148]) توجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (2851) ولهذه النسخة صورة في جامعة أم القرى في مكة المكرمة ينظر: فهرس أصول الفقه: 122/1.

obeikandl.com

30- المنطق الكبير.

31- نهاية العقول في دراية الأصول.

32- رسالة في علم الهيئة.

مصنفاته المفقودة:[150]

1. الآيات البينات في المنطق (كبير).
2. إبطال القياس.[151]
3. أجوبة مسائل المسعودي.
4. أحكام الأحكام.
5. الأخلاق.
6. إرشاد النظّار إلى لطائف الأسرار.
7. الأَشربة.
8. البراهين البهائية.
9. البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان.
10. تحصيل الحق.
11. التشريح من الرأس إلى الحلق.
12. تعجيز الفلاسفة.

([149]) حقق عبد المعز بن عبد العزيز حريز هذا الكتاب، وقدّمه رسالة للدكتوراه إلى قسم الفقه في كلية الشريعة بالرياض ينظر: مجلة أضواء الشريعة العدد (15) لسنة 1401هـ: ص 421.

([150]) ينظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص56، وما بعدها.

([151]) اعتمد العماري على عنوان هذا الكتاب، وعلى استقراء ناقص للتفسير في إثبات أن الرازي من نُفاة القياس. وقد ردّ عليه العلواني وفنّد رأيه فيما يتّصل بهذه المسألة. ينظر: الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص197، ومقدمة المحصول في علم الأصول 1:1: 42-46.

obeikandi.com

13. تفسير سورة البقرة.

14. تهذيب الدلائل وعيون المسائل.

15. الجبر والقدر.

16. جواب الغيلاني.

17. جواب المسائل النجارية.

18. الجوهر الفرد.

19. الرعاية.

20. كتاب في الرمل.

21. الرياض المونقة في الملل والنحل.

22. الزبدة.

23. رسالة في السؤال.

24. شرح أبيات الشافعي الأربعة في القضاء والقدر.

25. شرح الإرشاد.

26. شرح ديوان المتنبي.

27. شرح العي والخلاف.

28. شرح قطعة من المفصّل.

29. شرح نهج البلاغة.

30. شرح الوجيز.

31. الرسالة الصباحية.

32. الطب الكبير.

33. الطريقة العلائية في الخلاف.

34. الطريقة في الخلاف والجدل.

obeikandl.com

35. عمدة الأنظار وزبدة الأفكار.

36. فضائل الأصحاب، أو (الصحابة).

37. اللطائف الغياثية.

38. مباحث الحدود.

39. المباحث العمادية في المطالب المعادية.

40. مباحث الوجود والعدم.

41. الرسالة المجدية.

42. الرسالة المحمدية.

43. المحرر في دقائق النحو.

44. المحصول في علم الكلام.

45. مسائل في الطب.

46. منتخب شرح تنكلوشا.

47. النبض.

48. رسالة في النبوات.

49. نفثة المصدور.

50. النهاية البهائية في المباحث القياسية.

51. الهدى.

52. الهندسة.

كتب نسبت إلى الرازي في النحو:

عند دراستي لما كتب عن الرازي قديماً وحديثاً وقفت على أربعة كتب نحوية نسبت إليه، منها ما هو صحيح النسبة، ومنها ما هو ليس كذلك وهذه الكتب هي:

obeikandl.com

1- الإعراب.

2- عرائس المحصّل من نفائس المفصّل.

3- المحرر في دقائق النحو.

4- مؤاخذات جيدة على النحاة.

الإعراب: نسب هذا الكتاب إلى الرازي كل من الزركلي، [152] وفتح الله خليف. [153] والصحيح أن هذا الكتاب لتاج الدين الاسفراييني (ت 684 هـ) وقد طبع [154] بتحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن.

عرائس المحصّل من نفائس المفصّل: ذكرت المصادر التي ترجمت للرازي أن له شرحاً للمفصّل، وكان معدوداً من الكتب المفقودة، إلى أن أشار الدكتور محسن عبد الحميد إلى مكان وجوده، وهو مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (146 نحو). [155] وقد حصلت على هذا المخطوط، [156] ودرسته بدقّة ، فتبيّن لي أنه ليس للرازي، وها أنا ذا أعرض الأدلة التي اعتمدها الدكتور محسن عبد الحميد في الإثبات، ثم ما توصلت إليه من الأدلة في نفي ذلك. فالذي جعل الدكتور محسن يذهب إلى ذلك أمران: [157]

([152]) الأعلام 313/6.

([153]) فخر الدين الرازي: ص160.

([154]) طبع تحت عنوان (فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة).

([155]) الرازي مفسراً: ص47، وقد نسبه للرازي كذلك العلواني محقق كتاب المحصول. ينظر: المحصول في علم الأصول 2:3: 265.

([156]) بعد مراسلات مع الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عن طريق المكتبة المركزية لجامعة الموصل.

([157]) الرازي مفسراً: ص47.

obeikandi.com

1. وجود اسم الرازي على الصفحة الأولى من المخطوط، وإنْ كان بصورة غير واضحة.

2. تأليفه الكتاب نزولاً عند رغبة ابنه محمد، وللرازي ولد بهذا الاسم رثاه في تفسيره، وكان قد أهدى إليه بعض كتبه.

أما الأدلة التي تنفي نسبة هذا المخطوط للرازي فهي:

1- إن الكتب التي ألّفها صاحب المخطوط وأحال إليها في مخطوطه لم يذكرها أحد للفخر الرازي، وهي (رموز الألباب إلى كنوز الكتاب)،[158] و (معارج الهدى إلى مدارج المدى)،[159] و (مناهج الوصول إلى مباهج المحصول).[160]

2- شرحه للمحصول في كتابه: (مناهج الوصول إلى مباهج المحصول) ومعلوم أن المحصول للرازي، ولم يذكر أحد من الذين ترجموا له أنه قد شرحه بنفسه.

3- ينقل آراء نحوية من كتاب اسمه (المحرر)، ويقول:[161] "قال صاحب المحرر"، وللرازي كتاب في النحو اسمه (المحرر في دقائق النحو)، فإن كان يقصد بذلك محرر الرازي، فيعني ذلك أنه معاصر له أو متأخر عنه. وعلى أي الاحتمالين فهو غير الرازي.

4- ينقل عن معجم (شامل اللغة)[162] وهذا المعجم لعماد الدين حسن بن حسين القرة حصاري الرومي، وقد فرغ منه سنة 947 هـ.[163] وعلى هذا فالمؤلف

([158]) عرائس المحصل من نفائس المفصل: الورقة 2آ، 114ب، 167أ، 209آ.

([159]) عرائس المحصل: الورقة 7آ، 61آ.

([160]) عرائس المحصل: الورقة 72ب، 114آ.

([161]) عرائس المحصل: الورقة 11ب، 17آ، 19آ، 23ب، 29آ.

([162]) عرائس المحصّل: الورقة 319ب، 331ب، 346آ، 358آ، 370آ، 374آ، 374ب، 395ب، 402آ، 403ب، 405آ، 411ب.

([163]) إيضاح المكنون 39/2.

obeikandl.com

إما من أهل القرن العاشر أو ما بعده، لأنه إما معاصر لصاحب هذا المعجم أو متأخر عنه، حتى يصح أن ينقل عنه.

5- في المخطوط طائفة من الآراء النحوية التي هي خلاف آراء الرازي من مثل عطف الاسم الظاهر على المضمر في قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ)[164] فصاحب المخطوط يؤول الآية بما يصحح به القراءة بجر الأرحام، [165] في حين لا يؤول الرازي الآية ويصحح القراءة بالجر على أساس صحة الرواية، [166] وليس لدينا الدليل على أن الرازي قد غير رأيه في إعرابها.

6- ذكرت بعض المصادر أن الرازي لم يتم شرحه للمفصل، [167] وذكرت أخرى أنه شرح المفصل، ولكنها أوردت الكلام بصيغة التضعيف. [168] وأميل في هذه المسألة إلى رأي ابن قاضي شهبة القائل: بأن الرازي "شرح قطعة من المفصل"[169] في حين أن مخطوط (عرائس المحصل) هو شرح كامل للمفصل.

7- قال صاحب المخطوط: [170] "وكنت لعديد ما كُلفته من المراتب الدنيوية ومزيد ما قلدته من المناصب الدينية، أجدُّ في شرحه حيناً وأدعه أحياناً في حين "لم يشغل الرازي منصباً رسمياً طول حياته".[171]

([164]) سورة النساء: 1.

([165]) عرائس المحصل: الورقة 140آ.

([166]) التفسير الكبير 163/9.

([167]) عيون الأنباء: ص470، الوافي بالوفيات 255/4، طاش كبري زادة، مفتاح السعادة 118/2.

([168]) وفيات الأعيان 279/4، طبقات الشافعية الكبرى 87/8.

([169]) طبقات النحاة واللغويين: ص215.

([170]) عرائس المحصل: الورقة 2آ.

obeikandl.com

وهذا ما حملني على أن أستبعد المخطوط من مصادري، لأنه لم يثبت لدي أنه له، بل العكس، فإن الأدلة تنفي كونه من كتبه.

المحرر في دقائق النحو: أَحال إليه الرازي في كتابه المحصول، [172] وأشار إليه الصفدي [173] أيضاً، وقال عنه ابن مكتوم [174] (ت 749هـ): "وهو كتاب لطيف على بعض أبواب العربية". ويبدو أن الرازي حاول فيه الخروج عن الطريقة التقليدية في التأليف في النحو العربي، إذ قال ابن مكتوم [175] : "سمعت شخنا أبا جعفر بن الزبير [176] يذكر هذا التصنيف ويقول: إنه ليس جارياً على مصطلح القوم..... ولما وقفتُ على هذا الكتاب بديار مصر رأيت ما كان الأستاذ أبو جعفر يذمُّ من هذا الكتاب".

وقال ابن قاضي شهبة [177] في ترجمته للرازي: "صنف كتاباً في النحو سماه المحرر، في مجلد غالبه حدود" ونقل عنه السيوطي نصاً في كتابه: الاقتراح في أصول النحو.[178]

مؤاخذات جيدة على النحاة: هناك من ظن [179] أن هذا كتاب للرازي، مُستنتجاً ذلك من قول ابن خلّكان[180]: "وله مختصر في الإعجاز، ومؤاخذات جيدة على

([171]) فخر الدين الرازي: ص4.

([172]) المحصول في علم الأصول 1:1:323، 1:1:528.

([173]) الوافي بالوفيات 255/4.

([174]) الدرّ اللقيط من البحر المحيط: مطبوع بهامش البحر المحيط 481/3، وينظر: احمد مكي الأنصاري: سيبويه والقراءات: ص114.

([175]) الدر اللقيط 481/3.

([176]) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الحافظ، النحوي، توفي سنة 708 هـ.

([177]) طبقات النحاة واللغويين: ص 215.

([178]) ص203-206.

obeikandl.com

النحاة، وله طريقة في الخلاف" وأغلب الظن أن هذه العبارة لا يقصد بها اسم كتاب للرازي، بل أرى ـ كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين من قبلي ـ أن "ابن خلكان كان يقصد أن للرازي فضلاً عن كتبه الأخرى ـ مؤاخذات وملاحظات على النحاة في كتبه: كالمحرر والتفسير، وشرح المفصل"[181]

ثالثاً: تفسيره

قيمة تفسيره:

ما إنْ يذكر التفسير بالرأي إلا ويتبادر إلى الذهن تفسير الرازي فهو تفسير ضخم التقت فيه فروع ثقافة الرازي المتنوعة، فجاء صورة صادقة لثقافة هذا العالم وعصره، وما كانت تسوده من آراء وثقافات.

ألّف الرازي تفسيره على غرار تفاسير المعتزلة في اعتمادهم على علم الكلام والفلسفة والمنطق،[182] ولكنه كان موجّهاً ضدهم. فالرازي سخّر هذه العلوم في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة مناقشاً المخالفين له في معتقده. فلا نكاد نَمرُّ بآية من الآيات التي وقع في تأويلها خلاف بين أهل السنة والمعتزلة إلا وجدناه يجادل المعتزلة ويعترض على آرائهم.[183]

([179]) علي سامي النشار: مقدمة اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص32، وفتح الله خليف: فخر الدين الرازي ص164، والمعصومي: ضميمة بمؤلفات الرازي ملحقة بكتاب النفس والروح: ص 197.

([180]) وفيات الأعيان 249/4.

([181]) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: ص 129.

([182]) ينظر: في اعتداد المعتزلة بالفلسفة ومخالفة أهل السنة لهم، ثم التقارب الذي حصل بين المعتزلة وبين معظم أهل السنة في الميل إلى الفلسفة: محمد الفاضل بن عاشور: التفسير ورجاله: ص 69 وما بعدها.

([183]) ينظر: التفسير الكبير 42/2-48، 49/2، 81/2....

obeikandl.com

وقد تنبه الرازي على أنه قد أكثر من محاجة المعتزلة فقال: [184] "وليس لأحد أن يُعيبنا فيقول: إنكم تكررون هذه الوجوه في كل موضع، فإنا نقول: إن هؤلاء المعتزلة لهم وجوه معدودة في تأويلات آيات الجزاء فهم يكررونها في كل آية فنحن أيضاً نكرر الجواب عنها في كل آية".

وقد يشتد في مناقشته لهم، ويقسو عليهم في الكلام أحياناً، كما حدث في مناقشته للزمخشري عند وقوفه على قوله تعالى: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[185] قال:[186] "ولقد خاض صاحب الكشاف ههنا في التعصب للاعتزال، وزعم أن الآية دالة على أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وكان ذلك المسكين بعيداً عن معرفة هذه الأشياء، إلا أنه فضولي كثير الخوض فيما لا يعرف .... فهذا المسكين الذي ما شمَّ رائحة العلم، من أين وجد ذلك؟ وأما حديث الجبر فالخوض فيه من ذلك المسكين خوض فيما لا يعنيه"، وهذا لا شك كلام لا يليق بالزمخشري الذي يُشْهَدُ له بالإمامة في التفسير، والعلم الغزير في النحو واللغة والأدب وما إليها، ومصنفاته الكثيرة تشهد له بذلك. ولا بد هنا من ملاحظة سريعة، وهي أنه قد يُظن أَن تفسير الرازي هو تفسير عقلي محض، وهذا خطأ، لأن هذا التفسير يحوي من الآثار المروية عن الصحابة، والتابعين وأئمة الفقه، والمتصوفة، الشيء الكثير، ولكن الصبغة العقلية كانت هي الغالبة عليه.

وهو حافل كذلك بمباحث علم الكلام، والفلسفة، والفقه وأصوله، كما أنه حافل بمباحث النحو واللغة والصرف، ومباحث العلوم الصرف من: طب،

([184]) التفسير الكبير 147/13.

([185]) آل عمران: 18.

([186]) التفسير الكبير 206/7.

obeikandl.com

وتشريح، وفلك، ونبات، وغيرها. ولهذا قال عنه ابن خلكان: [187] "جمع فيه كل غريب وغريبة".

وقد تنبه الرازي على إكثاره من مباحث العلوم في تفسيره وحاول تعليل ذلك وتسويغه، فقال: [188] "وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت كتاب الله حقَّ التأمل لعرفت فساد ما ذكرته" ثم ذكر أسباب توسعه في هذه العلوم، وهي الاستدلال بها على معرفة الله سبحانه وتعالى وبيان عظمته.

ويُلاحظ قارئ التفسير مناقشات الرازي للفلاسفة، تلك المناقشات التي تعرض فيها لآرائهم بالنقد والدحض بأدلة من جنس أدلتهم، ألا وهي الأدلة الفلسفية. حتى قيل عنه: إنه "خصم للفلاسفة، لأنه متكلم متعصب لكلاميته" [189] إذ درس الفلسفة ليرد على الفلاسفة وعبر عن ذلك بقوله: [190] "كنا نحن في ابتداء اشتغالنا بتحصيل علم الكلام تشوّقنا إلى معرفة كتبهم (يعني الفلاسفة) لنردَّ عليهم فصرفنا شطراً صالحاً من العمر في ذلك، حتى وفقنا الله في تصنيف كتب تتضمن الردَّ عليهم" فتسلحُ الرازي بالفلسفة إنما كان من أهدافه دحض آراء الفلاسفة إذا لم تكن موافقة لما عليه الشرع والعقل. وهذا شبيه بما فعله سلفه أبو حامد الغزالي حين تصوّف بعد التفلسف وألف كتابه (تهافت الفلاسفة) في الرد عليهم. من كل هذا تبين لنا سبب قول ابن تيمية عن تفسير الرازي: [191] "فيه

([187]) وفيات الأعيان 249/4.

([188]) التفسير الكبير 121/14.

([189]) سليمان دنيا: مقدمة القسم الثاني من الاشارات والتنبيهات: ص18.

([190]) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص91.

([191]) الوافي بالوفيات 254/4.

obeikandl.com

كل شيء إلا التفسير" وقد انتشرت هذه العبارة بين الناس وعدّوها حكماً على التفسير، وإن لم يطلعوا عليه بكفاية. والحقيقة، أن في هذا القول إجحافاً في حقّ هذا التفسير القيم، والأصوب أن يُقال في حقّه ما قاله تاج الدين السبكي: [192] "فيه مع التفسير كل شيء".

أما عن الآراء النحوية في التفسير، فإن علوم العربية ـ كما هو معلوم ـ نشأت لخدمة القرآن الكريم فمنه ومن أجله انبثقت، فلا غرابة أن يكون تفسير القرآن الكريم ملتقى لعلوم العربية كلها وفي هذا يقول أحد الباحثين المعاصرين: [193] "لقد كان علم التفسير أكثر حظاً في النحو من غيره، بل كان ارتباطه أكثر من ارتباط غيره به فما علم النحو أصلاً إلا مظهرٌ من مظاهر تفسير القرآن وتوضيحه". أو بعبارة أخرى لم يكن النحو إلا أداة من الأدوات التي خدمت الكتاب العزيز الذي يمثل قمة اللغة وذروتها في البيان. فالعلاقة بين هذين العلمين: التفسير والنحو، علاقة صميمة وليس أدلُّ على هذه العلاقة من أن معرفة النحو وأصوله هي أولى الأدوات التي يجب على المفسر أنْ يتسلح بها إذا تصدّى لتفسير كتاب الله تعالى. [194] وعند قراءتي لتفسير الرازي وجدته حافلاً بمباحث النحو واللغة، وكان مصنفه على جانب كبير من التمكن في هذين العلمين، فهو ـ في النحو مثلاً ـ لا يسلم بما قيل دائماً، بل يناقش النحاة في آرائهم مستدركاً وناقداً. وقد يرجح رأي بعضهم على بعض عندما يجد للترجيح وجهاً وحجة.

([192]) نفسه.

([193]) اللبدي: أثر القرآن والقراءات في النحو العربي: ص275.

([194]) نفسه.

obeikandl.com

وكان يَشترط على المفسّر المعرفة التامة في ثلاثة علوم هي: النحو، واللغة، والأصول، ولنسمعه يقول في المفسِّر: [195] "ومتى تكلم في القرآن من غير أن يكون متبحراً في علم الأصول، وفي علم اللغة والنحو، كان في غاية البعد عن الله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: من فسَّر القرآنَ برأيه فليتبوأ مقعده من النار".[196] ولا بد أن الرازي يدخل نفسه في زمرة الذين يفسرون القرآن بهذا الشرط الذي يراه، وإلا لدخل تحت الوعيد المذكور في هذا الحديث. والحق أن الرازي كان متبحراً في الأصول، ونلحظ له مثل ذلك في النحو واللغة، وستتضح لنا صورته نحوياً من خلال هذا البحث.

هل أكمل الرازي تفسيره:

وهذا موضوع كَثُرَ فيه القول. فهناك من قال بأن الرازي لم يكمل تفسيره، وهؤلاء اختلفوا في المكان الذي وقف عنده، فأكثرهم لم يحدده، في حين حدده بعضهم بسورة الأنبياء [197] وتقدم به بعضهم إلى سورة الروم أو العنكبوت.[198] وهناك من خالف في ذلك فذهب إلى أنه أتمه. ولكل فريق أدلته.

أما أدلة النافين فهي ضربان: خارجية، وداخلية. فالخارجية نعني بها الأدلة التي من خارج التفسير وهي: أقوال العلماء والمؤرخين في المسألة، وتشير إلى أن الرازي لم يكمل التفسير. وهذه الأدلة هي: [199]

([195]) التفسير الكبير 179/7.

([196]) رواه الترمذي: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)، ينظر: صحيح الترمذي بشرح ابن العربي 67/11.

([197]) التفسير والمفسرون 292/1.

([198]) ابن قاضي شهبة: طبقات النحاة واللغويين: ص216.

([199]) ينظر في هذه الأدلة: الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص162. والرازي مفسراً: ص52.

obeikandl.com

1- قال ابن أبي أصيبعة [200] في ترجمة أحمد بن خليل الخوبي: "ولشمس الدين من الكتب تتمة تفسير القرآن لابن خطيب الري".

2- قال ابن خلّكان [201] في ترجمة الرازي: "له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة، وهو كبير جداً لم يكمله".

3- وجاء في شذرات الذهب [202] عن ابن قاضي شهبة قوله: "ومن تصانيفه تفسير كبير لم يتمه".

4- قال الداودي: [203] "من تصانيفه (التفسير الكبير) لكنه لم يكمله، كذا في مختصر تاريخ الذهبي، سماه: (مفاتيح الغيب).

5- وذكر ابن حجر العسقلاني [204] في ترجمة أحمد بن محمد القمولي (ت 727هـ): بأنه "أكمل تفسير الإمام فخر الدين الرازي".

6- وقال صاحب كشف الظنون: [205] "وصنّف نجم الدين أحمد بن محمد القمولي تكملة له، وتوفي سنة 727 هـ، وقاضي القضاة شهاب الدين بن خليل الخوبي الدمشقي كمل ما نقص منه أيضاً، وتوفي سنة 639 هـ".

وأما الأدلة الداخلية فهي التي من داخل التفسير، والتي قد تُشعر بأن التفسير ليس للرازي: [206]

([200]) عيون الأنباء: ص647، وتقدمت ترجمته في تلاميذ الرازي.

([201]) وفيات الأعيان 249/4.

([202]) 21/5.

([203]) طبقات المفسرين 216/2.

([204]) الدرر الكامنة 325/1، وهو فقيه وقد ناب في الحكم بمصر، وولي الحُسْبَة وله شرح الأسماء الحسنى وغيرها.

([205]) 1756/2، وتابع محمد حسين الذهبي هذا ينظر: التفسير والمفسرون 293/1.

([206]) ينظر: الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص163، والرازي مفسراً ص62.

obeikandl.com

1- جاء في تفسير سورة يس، بعد نقل كلام لأبي حامد الغزالي: "واستحسنه فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى، سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام"[207] فالمتكلم هنا غير الرازي كما هو واضح.

2- وجاء في تفسير سورة الواقعة: "وشيء من هذا رأيته في كلام الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله، بعد ما فرغت من كتابه هذا مما وافق خاطري خاطره. على إني معترف بأني أصبت منه فوائد لا أحصيها".[208]

3- وجاء في تفسير السورة نفسها: "المسألة الأولى أصولية ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله في مواضع كثيرة ..... وقد أجاب عنه الإمام فخر الدين بأجوبة كثيرة، وأظن به أنه لم يذكر ما أقوله فيه".[209]

أما أدلة الإثبات فهي كثيرة، وقد كتب عنها غير واحد من الباحثين المعاصرين ولذا سأورد أولاً الأدلة التي ذكروها باختصار ثم أعقبها بما رأيته من ملاحظات حول هذه المسألة وأستعرض أخيراً ما توصل إليه الباحثون في هذا الموضوع مرجحاً الرأي الذي بدا لي أنه الأرجح.

إن أدلة الإثبات كما توصل إليها الباحثون هي:

1- إحالته في القسم الأول من تفسيره وهو الذي لم يشك أحد في نسبته إليه على سور متأخرة من تفسيره.[210]

وهذه الإشارات كثيرة، ولكن سأقتصر على اثنتين منها:

([207]) التفسير الكبير 113/26.

([208]) التفسير الكبير 155/29.

([209]) التفسير الكبير 156/29.

([210]) الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص169، الرازي مفسراً: ص56.

obeikandl.com

أ- جاء في تفسير سورة الإسراء:[211] "وتمام المباحث العقلية في لفظ التسبيح قد ذكرناها في أول سورة الحديد". فإذا رجعنا إلى سورة الحديد تبين لنا صحة ما أشار إليه الرازي،[212] وسورة الحديد - كما هو معلوم - تقع بعد سورة الواقعة مباشرة في ترتيب المصحف.

ب- وقال عند تفسيره لسورة البقرة: [213] "كما قال سبحانه (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ❖ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا)[214] وقال: (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ❖ فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا)[215] وقال: (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ❖ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا)[216]، وقال: (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ❖ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا).[217] ولقد ذكرنا في تفسير هذه الآيات أسراراً مخفية، إذا طالعها الراسخون في العلم وقفوا عليها". وهذا يعني أنه فسَّر هذه السور وهي: الصافات، والذاريات، والمرسلات، والنازعات، وقد ذكرها مرتبة حسب ورودها في المصحف، إذ إن الصافات سابقة لها كلها، في حين أن النازعات تقع في آخرها.

2- إحالته في القسم الأخير من تفسيره إلى القسم الأول، مما يؤكد أن مؤلف التفسير شخص واحد[218] وسأقتصر على مثالين أيضاً:

أ- قال عند تفسيره لسورة الانفطار: [219] "والكلام في هذه المسألة قد استقصيناه في سورة البقرة".

([211]) التفسير الكبير 146/20.

([212]) التفسير الكبير 205/29.

([213]) التفسير الكبير 132/7.

([214]) الصافات: 1-2.

([215]) الذاريات: 1-2.

([216]) المرسلات: 1-2.

([217]) النازعات: 1-2.

([218]) الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص176، والرازي مفسراً: ص59.

obeikandl.com

ب- قال عند تفسيره لسورة القدر [220] متحدثاً عن القرآن الكريم: "قال ابن عباس أُنزل إلى السماء الدنيا جملة ليلة القدر، ثم إلى الأرض نجوماً، كما قال: (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ).[221] وقد ذكرنا هذه المسألة في قوله: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ).[222] "وعند الرجوع إلى تفسير هذه الآية تبين لنا صحة هذه الإحالة. [223] ومعلوم أن سورة القدر من أواخر سورة القرآن، إذ هي السورة السابعة والتسعين من مجموع سور القرآن البالغة أربع عشرة ومئة.

3- أثبت العماري[224] أن الرازي قد فسر سورة الأنبياء، التي شك بعضهم في تفسير الرازي لها، وزعم أنه قد توقف عندها. أثبت ذلك بأدلة تاريخية ومن خلال إحالته إلى عدد من السور المتقدمة كسورة الأنبياء. وأثبت الدكتور محسن عبد الحميد[225] أن الرازي قد فسر سورة الواقعة ـ التي يدور الشك حول تفسيره لها ـ بأدلة عديدة منها: إحالته إلى سورة الصافات وصحة هذه الإحالة، وإحالته إلى سورة الأعراف التي هي بإجماع العلماء من تفسير الرازي نفسه، وكذلك من خلال معالجته لمسائل العقيدة بنفس منهجه الذي سلكه فيما سبق من تفسيره.

([219]) التفسير الكبير 84/31.

([220]) التفسير الكبير 27/32.

([221]) الواقعة: 75.

([222]) البقرة: 185.

([223]) التفسير الكبير 85/5.

([224]) الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص173.

([225]) الرازي مفسراً: ص60.

obeikandl.com

4- إشارة الأقدمين إلى ما يُفهم منه أن الرازي قد أكمل تفسيره فالقفطي (ت 646 هـ) يقول: [226] "ومن تصانيفه كتاب تفسير القرآن الكبير سماه: مفاتيح الغيب ـ سوى تفسير الفاتحة، وأفرد لها تصنيفاً ـ في اثني عشر مجلداً بخطه الدقيق". وقد علق الدكتور محسن عبد الحميد على ذلك بقوله: [227] "وعبارته (بخطه الدقيق) تشعر بأنه قد رآه". وهي ملاحظة صحيحة. وأشار الصفدي إلى أنه قد أكمل التفسير كله فقال: [228] "وأكمل التفسير على المنبر إملاء" فحدد طريقة التفسير تحديداً دقيقاً حين بين أنها (الإملاء).

5- جاء في تفسير قوله تعالى: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) من سورة الحديد قوله: [229] "وسمعت والدي رحمه الله يقول: إنه كان يروى أنه لما نزلت هذه الآية أقبل المشركون نحو البيت وسجدوا" والرازي هو الذي تلمذ لوالده، وليس في تاريخ الرجلين اللذين ذُكر أنهما أكملا التفسير أن أحداً منهما قد تلمذ لوالده.

6- ويلاحظ على القسم الأخير الذي شُكَّ في نسبته إلى الرازي، وحدة الأسلوب وتناظره مع أسلوب التفسير بعامة، وكذلك وحدة المصادر، وترجيح الآراء، ومناقشة الملل والنحل، مما يشعر أنه من تصنيف الرازي نفسه لا من تصنيف غيره. [230]

([226]) تاريخ الحكماء: ص292.

([227]) الرازي مفسراً: ص53.

([228]) الوافي بالوفيات 255/4، وينظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: هامش ص65.

([229]) التفسير الكبير 213/29، وينظر: الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره ص175.

([230]) الرازي مفسراً: ص61.

obeikandi.com

7- ومن أهم الأدلة وأقواها، أنه أحال في الجزء المشكوك فيه إلى كتبه التي ألّفها، مما يقطع بنسبة هذا القسم إليه، قال عند تفسيره لسورة الحشر [231] "وأعلم إنا قد تمسكنا بهذه الآية في كتاب (المحصول من أصول الفقه) على أن القياس حجة فلا نذكره هنا" ثم أحال على هذا الكتاب أيضاً في تفسيره لسورة المدثر،[232] وأشار إلى كتابه (لباب الإشارات) عند تفسيره لسورة الفجر.[233]

8- أكمل الرازي تفسير عدد من السور المتأخرة في سنة 603هـ وهي إحدى عشرة سورة من الصافات إلى الفتح، وتوفي في سنة 606 هـ، فلِمَ لا يكون قد أكمل بقية السور في هذه المدة، وخاصة أنها مدة كافية لمن في مثل همّته في التأليف والكتابة، إذ عرف عنه انه كان سريع الكتابة في تفسيره.

أما الملاحظات التي توصلت إليها، وأحب أن أذكرها فهي:

1. رجعت إلى طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة فوجدته يقول:[234] "ومن تصانيفه التفسير الكبير وصل فيه إلى الروم أو العنكبوت، وأكمله تلميذه شمس الدين الخوبي وبعضهم أدعى أنه كامل". فيلاحظ أنه أورد موضوع إتمام التفسير بشيء من التضعيف، إلاّ أن ذلك ذو دلالتين: الأولى: أن هذا الموضوع كان منذ زمن بعيد موضع خلاف، ولهذا لا يصح لنا أن نجزم بأحد الرأيين من غير دليل. والثانية: عدم مناقشة ابن قاضي شهبة لهؤلاء الذين قالوا بتمام التفسير، مما يعزز رأيهم بعض الشيء.

([231]) التفسير الكبير 281/29. وينظر: الرازي مفسراً: ص60.

([232]) التفسير الكبير 211/30.

([233]) التفسير الكبير 177/31.

([234]) ص 216.

obeikandl.com

2. اختلاف المصادر في الشخص الذي أكمل التفسير ـ كما مرَّ في أقوال العلماء سابقاً ـ وفي المكان الذي أكمل منه.[235] ولا شك في أن هذا الاضطراب يقلل من الاعتماد على هذه الأقوال، لأن الأقوال إذا تعارضت هذا التعارض تساقطت.

3. قال صاحب كشف الظنون:[236] "واختصره برهان الدين محمد بن محمد النسفي المتوفى سنة 687، وسماه: الواضح". فكيف يختصره برهان الدين المتوفى 687 هـ، ويكمله القمولي المتوفى 727 هـ أما كان الأولى ببرهان الدين هذا أنْ يكمل تفسير الرازي بدل أنْ يختصره لو كان التفسير ناقصاً كما يزعمون؟ وألّف أبو عبد الله محمد الربعي (ت 715 هـ) كتاباً بعنوان: (تنوير مختصر التفسير الكبير لفخر الدين الرازي).[237] واختصر النيسابوري (ت 728 هـ) تفسير الرازي، وضمَّ إليه فوائد أُخرى من الكشاف وغيره، ولكنه لم يشر إلى مسألة النقص هذه.[238]

([235]) للسيوطي تفسير لعدد من سور القرآن اسمه (مفاتيح الغيب) وهو في مجلد يبدأ من سورة سبح إلى نهاية القرآن. كشف الظنون 1756/2. ولا علاقة لهذا التفسير بطبيعة الحال بتفسير الرازي. ولكن ظن صاحب معجم المطبوعات (917/1) أنه تكملة لتفسير الرازي، والذي أوقعه في هذا الوهم هو الاتفاق في الاسم بين تفسير الرازي وهذا التفسير. ويؤيد قولي أمران:

أ- لو كان السيوطي أكمله لأشار إلى ذلك عند كلامه على تفسير الرازي في طبقات المفسرين (ص100)، أو لأشار إلى ذلك في (حسن المحاضرة) عند ترجمته لنفسه، إذ ذكر هذا الكتاب ولم يشر إلى هذه المسألة 340/1.

ب- لو كان السيوطي أكمله لأشار صاحب كشف الظنون إلى ذلك عند كلامه على الذين أكملوا تفسير الرازي.

([236]) 1756/2.

([237]) ابتسام الصفار: معجم الدراسات القرآنية: ص276.

([238]) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: بهامش تفسير الطبري 6/1.

obeikandl.com

4. نقل السيوطي نصّاً من تفسير الرازي لقوله تعالى: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) وهذه الآية من سورة القيامة، وهي السورة الخامسة والسبعون من سور القرآن حسب ترتيب المصحف وقد نسب السيوطي[239] الكلام للرازي وهذا يدل على أنه كان معترفاً بصحة نسبة التفسير إليه.

5. ومن الأَدلة القوية إحالة الرازي على تفسيره هذا في كتبه الأُخرى، قال في مناقب الشافعي: [240] "واعلم أن من طالع التفسير الذي (صنفنا)[241] ووقف على كيفية استنباط المسائل على وفق مذهب الشافعي من كتاب الله تعالى، علم أن الشافعي رضي الله عنه كان بحراً لا ساحل له في هذا العلم" يشعر بتمامه.

6. قال عند تفسيره لقوله تعالى: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) من سورة الحديد: [242] " وسمعت والدي رحمه الله يقول: أنه كان يروى أنه لما نزلت هذه الآية أقبل المشركون نحو البيت وسجدوا".

فرجعت إلى كتابه (لوامع البينات) عند تفسيره أسماء الله الحسنى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فوجدته يقول: [243] "سمعت شيخي ووالدي رحمه الله يقول: لما أنزل الله هذه الآية، أقبل المشركون على المدينة وسجدوا». وهذا يعني ان الرازي هو مفسِّر سورة الحديد قطعا.

7. ومن الإحالات النحوية قوله في تفسير سورة الانفطار عند كلامه على بناء الاسم على الفتح إذا أُضيف إلى مبني: [244] "وقد ذكرنا هذه المسألة عند قوله

([239]) الإتقان في علوم القرآن 330/3، وينظر: التفسير الكبير 222/30-223.

([240]) ص125، وينظر أيضاً: ص130، 252.

([241]) في المطبوع (وصفناه) والإصلاح من المخطوط.

([242]) التفسير الكبير 213/29.

([243]) ص323.

([244]) التفسير الكبير 86/31.

obeikandl.com

تعالى: (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ)". وعند رجوعي إلى سورة المائدة [245] تبينت لي صحة الإحالة عليها.

8. قابلت ما جاء في تفسير الرازي لكلمة (الأحد) في قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) بما قاله في (لوامع البينات) عند تفسيره لهذا الاسم فوجدت الكلام يكاد يكون واحداً.[246] وهذا يشعر أن تفسير سورة الإخلاص له. وكذلك وجدت في قوله تعالى (الصمد) إذ رجعت إلى التفسير وقارنت ما قيل بما هو موجود في (لوامع البينات)، فوجدت الكلام واحداً تقريباً سوى اختلاف يسير في الألفاظ.[247]

ولما كان التفسير متأخراً في الزمن عن تأليف (لوامع البينات) بدليل أنه ينقل منه في تفسيره،[248] فإن ذلك يعني أنه فسَّر سورة الإخلاص التي هي من آخر سور القرآن، إذ هي السورة الثانية عشرة بعد المئة، وليس بعدها ـ كما هو معلوم إلاّ المعوّذتان.

وبقي بعد هذا الأَدلة الداخلية، فالذي أقوله فيها أني أذهب إلى ما قاله الدكتور محسن عبد الحميد [249] من أن "ما ورد فيه من عبارات تدل على أنّ شخصاً آخر اشترك في كتابته، ليس إلاّ تعليقات متناثرة من بعض تلامذته أضيفت إلى المتن، أو كتبت في الحاشية ودخلت في المتن أثناء استنساخه" وليس هذا بمستبعد فإنَّ ثقافة النسّاخ متفاوتة، فلعل بعضهم لم يفرق بين متن التفسير وبين الحاشية التي كتبها أحد تلامذته، فأدخلها ضمن المتن.

([245]) التفسير الكبير 138/12.

([246]) التفسير الكبير 179/32 ويُوازن بلوامع البينات: المسألة السادسة: ص311.

([247]) التفسير الكبير 181/32، ويوازن بلوامع البينات: ص315.

([248]) التفسير الكبير 66/15، 14/22.

([249]) الرازي مفسراً: ص56.

obeikandl.com

وأخيراً أرى ضرورة عرض ما توصل إليه الباحثون المعاصرون في هذه المسألة وترجيح رأي منها:

ذكر العماري [250] أَنَّ الرازي أتمَّ تفسيره، ولأَمرٍ ما لعله بسبب التتر الذين أَغاروا على خوارزم سنة 617 هـ، ضاع جزء من هذا التفسير، وهو يحوي سوراً متفرقة منها سورة الواقعة، فأكمله تلميذه الخوبي. وأحتمل مع ذلك أن يكون تلاميذ الرازي الذين كتبوا عنه التفسير كثيرين فرحل عدد منهم دون أنْ يكمل نسخته من التفسير، فأكمل الخوبي ما وقع بيده من هذه النسخ، وكذلك القمولي فيما بعد. ولكن كيف صار تفسير سورة الواقعة التي هي ليست للرازي حسب ما رجح العماري ـ من تفسير الرازي؟

يجيب العماري: [251] "أن هذا من فعل بعض النساخ فلا يبعد أنْ يكون الناسخ الذي ورثنا عنه هذه النسخة لم يجد تفسير الرازي لسورة الواقعة فاستعارها من تفسير الخوبي" وهذا احتمال بعيد، ولذا نقد الدكتور محسن عبد الحميد العماري بقوله: [252] "وهكذا انتهى بحث العماري إلى هذه الفرضيات التي لا تستند على أساس علمي سليم". وهو في هذا النقد على حق.

وكان الشيخ محمد بن عاشور [253] قد توصل إلى: "أن الرازي لما انتصب في آخر حياته لتصنيف التفسير تمكن من إخراج شيء منه في تحريره النهائي، وبقي شيء من الأَمالي والمسوّدات بيد بعض تلاميذه، فأقبل على تصنيفه وتحريره وأَلحَقَ في ذلك الفرع بالأصل. فالكتاب بروحه هو للرازي كله، وبتحريره هو من

([250]) الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص183.

([251]) الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ص186.

([252]) الرازي مفسراً: ص 56.

([253]) التفسير ورجاله: ص 90.

obeikandl.com

وضعه في الأول، ووضع تلميذه الخوبيّ في الآخر". وهذا الذي ذهب إليه الشيخ ابن عاشور رأي قريب، ولكن من أين له الدليل عليه؟ أما الرأي الذي أراه قريباً وصحيحاً فهو ما ذهب إليه الزركان، والدكتور محسن عبد الحميد، قال الزركان: [254] "إنني أذهب إلى ما قاله الصفدي من أن الرازي ألّفَ كل التفسير: إما كتابةً بيده أو إملاء على تلاميذه". واطمأن الدكتور محسن عبد الحميد [255] إلى أن "تفسير (مفاتيح الغيب) اعتباراً من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس له، وليس لغيره".

وما قدمته من أدلة يعزز اختياري ويرفده، وهو أن الرازي قد أتم تفسيره بصورة من الصور المعروفة في التأليف، سواء أكانت كتابة بيده أو إملاء على طلبته.

([254]) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية: هامش ص 66.

([255]) الرازي مفسراً: ص 56.

obeikandl.com